



فاطمة المرينسي المثقفة النسوية بمنطق نقدي حدائ (غرافيكس «الجديد»)



نازك الملايكة صوت رائد ومبكر في النقد الأدبي (غرافيكس «الجديد»)

## مغامرة الكاتبة العربية في حقل التفكير النقدي

المرينسي والملايكة ويمنى العيد وعفيفة صعب وكوكبة من التجارب الأنثوية في «الجديد» اللندنية

نسويًا مهمًا، ليس في المشهد النقدي والجامعي الجزائري فحسب، بل تجاوز حضورها حدود الجزائر؛ فكتاباتها النقدية والإكاديمية هي من الثراء والتنوع والأهمية ما يؤهلها المقام العالي في ساحة البحث والنقد. والسؤال الأساسي عندها يتمثل في «البحث عن كيفية جعل الأدب والنقد الأدبي العربيين يوديان وظيفتهما التقنية والثقافية، ثم كيف يمكن بناء نقد عربي غير منقطع عن تراثه وغير منفصل عن واقعه».

**تكشف يمى العيد في حوارها عن شغفها بالبحث عن الوعي المعرفي في النص الأدبي، وبعبارتها «كيف يمكن أن نرى أو كيف يمكن أن يتمثل هذا الوعي المعرفي في النص الأدبي، باعتبار كونه متخيلا له استقلالته وفنيته»**

فلمرئسي عملت -كما يقول عبدالله إبراهيم- على «نقد بنية المجتمعات الإسلامية والعربية، ونقد الخطاب الداعم لمقوماتها، فتوزع عليها بين بحث استقصائي يُعنى برسم صورة المرأة في التاريخ، وتعبير تمثيلي عن صورتها كأنثى في مجتمع تقليدي». كما دعت إلى تغيير في شروط العلاقة بين الرجل والمرأة، والانتقال بها من التبعية إلى الشراكة. ويشير عبدالله إبراهيم إلى ارتحال المرينسي في شباب الماضي باحثة عن دور المرأة في التاريخ الغربي والإسلامي.

أما غزول فهي كما وصفت في مقالة عواد على «فريال غزول عاشقة ألف ليلة وليلة» بأنها «مؤسسة ثقافية قائمة بذاتها»، تعد من أوائل النقاد العرب، الذين تمثلوا النظريات النقدية الغربية الحديثة، وحاولوا تقديم قراءة جديدة للتراث الشري العربي.

واحتوى العدد إلى جانب المقالات الخاصة بالملف، على أبواب المجلة الثابتة، كإصدار المختصر، الذي قدم فيه كمال بستاني عددا من الكتب الصادرة حديثا، وأيضا باب رسائل الذي احتوى على رسالتين واحدة من إيطاليا قدمها عرفان رشيد عن «دانتشي البيغري» والشاعر الذي كتب للاثنتين من المستقبل، والثانية من رسالة باريس. وكتب عمار المامون عن «الرجل ذو القبعة على طريق بلا نهاية: معرض تحفي بتجربة الأرجنتيني أنطونيو سيجوي». وكتب أوبكر العيادي عن «مستقبل البشرية في الفضاء كما يراه كتاب الخيال العلمي»، واختتم العدد بمقالة «دعوة للتحول» من قبل المرينسي، والتي تناولت فيها المرأة العربية فعلا عاجزة عن أن تتبوأ مكانة هامة على المستوى الفكري والثقافي العربي؛ وهناك -أيضا- من أرجعها إلى

البحث عن المرأة المفكرة أشبه برفاهية لا مجال لها. أولا، لأن ندرة المفكرات ترجع إلى الظروف التاريخية والثقافية والاجتماعية والسياسية التي تعاقبت على المرأة، وثانيا لأن المرأة تحتاج إلى «كامل الطاقة والدعم لتمارس حقوقها الطبيعية في الحياة، بعيدا عن الكلمات التسويقية الراضجة».

ومن ثم تحمّل المجتمعات العربية ما حاق بالمرأة من وضعيات مزرية سواء اجتماعية أو فكرية، فجمع هذه المجتمعات مدينة للمرأة عن الخيبات التي تلحق بها جراء هذا التراكم الممتد منذ زمن غير محدد. ومع هذا فلا تفقد الأمل، فترى أن مع أسبقية وتفوق الرجل كما تؤكد الدلائل، فإن إمكانية المساواة ليست مستحيلة، بل ممكنة، لأنها صادرة عن إنسان يؤمنون بالمرأة دون معرفة شخصية، ومن ثم فهي تحتاج أولا إلى أن تثبت نفسها عبر منجزها أولا، وبعدها ستتحقق المساواة التي ستعود عن طريقها للاحقة وتلقائية. ومن الأسباب وراء تراجع العقل النقدي للمرأة، ما تمارسه الذكورية من نقد على كتابات المرأة، ووضعها في غير مسارها الصحيح، فالنقد الذكوري يرى أن رواية الأنثى «بؤرة أحاسيس»، في حين الراوي الذكر يعيد «بناء العالم» في انحصار واضح للرجل وإقصاء متعدد للأنثى.

### النساء قادمات

على عكس الأدعاء الرائج غياب صوت المرأة مفكرة تأتي مقالة الناقدة نادية شهاوي «غلبة الأنثوية وتراجع الذكورية». وترى أنه ليس بديلا أمام الأنثوية لدحض تلك المواضعيات التاريخية سوى مطاردة الذكورية ومباغتتها في عقر دارها، انتقاما لهوود طويلة من الإقصاء والمصادرة، وهو ما يتأتى عبر وسائل وممارسات كتابية شتى، وإن كان أوضحها نهجا، وأدائها قصدا، هو السر الذي به تتمكن الكاتبة من تشييد كيان أنثوي ينافس الذكورية، وتتضرب المثل يهدى بركات وروايتها «بريد الليل» التي استطاعت من خلال بنيتها السردية تفكيك كل ما هو مركزي واستجلاب كل ما هو طرفي، ليكون في المركز والمحور.

الشئى اللافت أن الناقدة ترى أن الرواية النسوية المكتوبة في شكل رسائل، بمثابة مختبر منظورات تنمرد فيها الأنثوية على الذكورية غير معترفة بالروابط السببية المنتظمة، متمثلة ذاكرة مرنة تابعت الأخر بالكامن والفخاخ. وهو ما يحتاج إلى تعقيب في السعي للتأكيد على تقديم نماذج من الناقدة المفكرات، أفردت المجلة مقالات مطولة أشبه بحفريات في أعمال الكثير من الكاتبات؛ كفاطمة المرينسي، وأمنة بلعلي، ونهاد صليحة، وفريال جبوري غزول، ووليلي أبو زيد. ففاطمة المرينسي التي يراها الدكتور عبدالله إبراهيم «مفكرة راديكالية» ارتادت حقلها غير مسبوقة في البحث الاجتماعي الخاص بعالم النساء في العالم العربي والإسلامي. وبالمثل أمينة بلعلي التي يصنفها لونييس بن علي في مقالته بأنها «تعد صوتا نقديا وأكاديميا

الحقيقية المهمة أن معظم الكاتبات يلتمحن إلى الدور الذكوري وراء إقصاء المرأة، حيث اختزل دور المرأة في دائرة أنماط معينة كما رأيت رزان إبراهيم. إضافة إلى الارتكان إلى البعد البيولوجي الذي يصنعها كائنات غير قادر على الإنتاج الفكري والنقدي. ومع عدم إنكار البعض لغياب الفكر النقدي للمرأة، إلا أن الحقيقة كما تقول رزان إبراهيم «إن قسما من الإنتاج النقدي والفكري للمرأة العربية، متمحور حول الوقوف على حالات الهيمنة الذكورية» أي أنه «نقد معني بالكشف عن علاقات التسلط والهيمنة ومواجهة أنماط سلوك ذكورية يمارسها مجتمع حريص على تثبيتها، وإعادة إنتاجها لصالح الرجل» وهذا الأمر يزيد المسألة تعقيدا، فصارت الرجل للمرأة لم يكتف بوضعها في دائرة أنماط معينة، بل حاصر فكرها في الدفاع عن ذاتها ضد هيمنة الرجل.

تكشف يمى العيد في حوارها عن شغفها بالبحث عن الوعي المعرفي في النص الأدبي، وبعبارتها «كيف يمكن أن نرى أو كيف يمكن أن يتمثل هذا الوعي المعرفي في النص الأدبي، باعتبار كونه متخيلا له استقلالته وفنيته». وهو الأمر الذي قادها إلى دراسة العلاقة غير المباشرة بين الأدب والواقع الاجتماعي الذي يعبر عنه. كما كشف الحوار عن حالة الاستعلاء التي يقوم بها النقد على النص الأدبي، وهو أشبه باستغراق للنص، وقد أكدت على ضرورة وضع النقد العربي والأدب في حقلهما الثقافي، مراعاة لخصوصية أدبنا وما يترتب على النقد باعتبار هذه الخصوصية، داعية إلى أن «يتشارك النقد والأدب همتا يتجاوزهما إلى الثقافة والحياة، أو إلى حضور الحياة، حياتنا، في الأدب». وترفض العيد أن يكون النقد قراءة إبداعية توازي العمل الأدبي، وهي وجهة نظر جديرة بالتأمل والمناقشة.

يذهب الدكتور مصطفى بيومي بدالسلام عن مقالته الموسومة «بالتناقضات الغائبات» في بحثه عن أسباب هذا الغياب، إلى المبنية النقدية العربية، التي لم تحتفظ باسم امرأة، وسط العشرات من أسماء الرجال، باستثناء أم حنبل في حادثة عارضة. ويرى أن أسباب هذا الغياب تعود إلى طبيعة المرأة البيولوجية التي جعلتها وفقا للأحكام الفقهية «منقوصة الكمال ويحاط بها السوء من كل جانب». كما أن النقد الأدبي في التصورات العربية القديمة هو مجال للحكم بالقيمة على أعمال الأدب. والنساء في هذا الشأن تخضع لمقاييس الذكورية التي تضع الرجل دائما في مرتبة أعلى، وتنسب إليه كل الفضائل الإنسانية.

ومع منع المرأة -في الماضي- من الدخول في مجال النقد بحكم التقاليد العربية، إلا أن الأمر اختلف في العصور الحديثة، بسبب الدعوات إلى تحرير المرأة، ومؤسسات التنوير التي اعتنت بالنساء. كما يلتفت الدكتور بيومي إلى المغامرة، التي كان لها الدور المهم في تدشين الناقدة الأولى في العالم العربي. وإن كانت ترى زهراء منصور، أن

سعت الدراسات والمقالات التي أفردت لها المجلة العدد كله؛ إلى تقضي دور المرأة في التأسيس لنقد أدبي وفكري معاصر، ارتبط حكما بالظواهر الأدبية والجمالية التي أنتجتها مشاركة المرأة العربي المعاصر وكزسها منجزها الأدبي والنقدي. وثانيا الإجابة عن أسئلة طالما صرحت في الفضاءات النسوية في المدونة النقدية العربية، والحيز الذي شغلته المرأة في حقل الاشتغال الفكري

والبحرين، والكويت، وتونس، والمغرب، وفلسطين، والجزائر، وليبيا. فالملف اشتمل على «أبحاث ومقالات وشهادات وعروض كتب جديدة فكرية وأدبية». اهتمت المقالات والدراسات جميعها إلى جانب قراءة الظواهر المختلفة المحيطة بالممارسة النقدية للمرأة والتأجمة عنها، بتجارب بارزة لطاعت بمنجزها النقدي وحضورها الثقافية الحياة الثقافية العربية، وشكلت ظواهر رفيعة المستوى، كما هو الحال بالنسبة إلى نازك الملايكة في حقل النقد الأدبي، وغيرها.

### رأدات مفكرات

يرى الشاعر نوري الجراح رئيس التحرير في مقالته الافتتاحية، أن توق المرأة إلى الحرية جعل خطاها النقدي الأسبق على الأدبي، ويتخذ من مقالة عفيفة صعب دليلا على قدم هذه الأسبقية، فعفيفة تدعو في مقالته التي نشرتها عام 1925 ضمن مجلة «الميزان» الأسبوعية، التي كان يصدرها الناقد أحمد شاعر الكرمي بدمشق؛ إلى الأخذ بالمدنية دون محاولة قمع الناس، كما تدعو إلى مساواة المرأة بالرجل، وإلى إقامة «علاقات متوازنة في الأسرة، وفي المجتمع كمدخل حقيقي للأخذ بسنن التطور».

ومثلما استعدت المجلة على صدر صفحاتها مقالة عفيفة صعب، كأول صوت نقدي، نافت الرجال في المطالبة بالحقوق، حاورت المجلة صوتا نسائيا، مفكرا، من طراز رفيع، انخرط طيلة سنوات طويلة في مساعلة قضايا النقد ومحاولة تجربتها على الإبداع العربي، إنه صوت الناقدة يمى العيد، وقد حاورتها حنان عقيل، ساعية إلى الوقوف عند المحطات الرئيسية في أعمالها النقدية، وأيضا البحث عن جواب للنسائل المحورية، عن موقع المرأة على خارطة النقد والفكر في العالم العربي.

ممدوح فراج النابلي كاتب مصري

الت مجلة الجديد التي تصدر من لندن، منذ عددها الأول أن تطرح الأسئلة المثيرة، وتفتح ملفات الثقافة العربية دون تحفظات أو قيود. ومع دخول المجلة عامها الثالث، ما زالت الأسئلة تطرح عبر ملفات حيوية، وفي العدد الجديد الصادر في سبتمبر/ أيلول 2019، تغامر المجلة عبر ملف كبير شامل، وتسال السؤال الذي يتوارى دوما في كل نقاش بكل جرأة وهو: ما هي أسباب غياب المرأة الناقدة والمفكرة عن المشهد الثقافي العربي؟ وإن كان السؤال يحمل في طياته اتهامها مباشرة للذكورية، التي لم تهيمن فقط على حدود تفكير المرأة، بل كذلك على القوانين التي تسيّر حياتها، وكان هذه الذكورية ينطج بها حماية جسد المرأة، وحراسة عقلها أيضا من التفكير.

### المرأة كائن مفعول به

فعلنى حد قول لونييس بن علي في مقالته «المرأة والكتابة: مواجهة أنساق الذكورية في الثقافة العربية» أنه «على طول التاريخ الثقافي للمرأة العربية، فلقد كانت موضوعا للكتابة أكثر مما كانت فاعلا للكتابة، ناهيك عن أن حضورها اقتصر في نظم الشعر أو سرد الحكايات، وندر حضورها في مجال الفلسفة والفكر والنقد وحتى الفقه. الغريب أن هذا الحضور داخل الأعمال السردية كان من خلال صوت الرجل، وهو ما يعني أن قمع المرأة لم يقتصر على هذا التقييد اللافت، وإنما أيضا باستعارة صوتها والحديث باسمها».

هذا الهيمنة الذكورية على النطاق الفكري والنقدي، أشبه بتكريس لمقولات روجتها الذكورية، مثل «العقل ذكوري، والعاطفة أنثوي»، أو أن اللغة مذكرة وأنها تنتمي إلى الممارسات الذكورية، كما روج النحويون؛ لهذا يكون «دخول المرأة غمار الكتابة اقتحاما لعرين الرجل». وقد تبعه تحليل للعقلية العربية التي سعت إلى تحرير المرأة، وفي نفس الوقت جعلت المرأة تابعة وعاجزة عن حتى أن تقف في نفس الصف مع، بل لقد نخأها جانبا.

من البديهي أن نقول إن مجلة الجديد لا تتبنى -وكذلك كتابها- موقفا ضد الرجل أو حتى منحازا للمرأة، وإنما تقف على قدم المساواة، فهي تقر بديهيها بأنه لا يوجد سبب واحد يفسر هذا الغياب أو تلك الندرة، التي تضاعفت في العهود الأخيرة إلى درجة مرعبة، بل ثمة أسباب متعددة. بعض هذه الأسباب يعود إلى المرأة نفسها؛ حيث حصرت نتاجها الفكري في منقطة رد الفعل على الاضطهاد الذكوري المسلط ضدها؛ وهو ما يبرز سنوئين: لماذا رضيت المرأة بهذه الوضعية الهامشية التي حصرها فيها الرجل؟ وهل المرأة العربية فعلا عاجزة عن أن تتبوأ مكانة هامة على المستوى الفكري والثقافي العربي؟ وهناك -أيضا- من أرجعها إلى

